عقبات "مدروسة" وحلول "سحرية"

في جولة كيسنجر للمنطقة انكشفت بعض الحقائق التي كان العمل جاريا على طمسها بكل الوسائل .

فبعد تردد الانباء عن تعثر التسوية، وعن تصلب بعض الاطراف العربية اتت جولة كيسنجر لتحل عقدة المسرحية ، وقد بدا الحل في ضوء المواقف القريبة المعلنة وكأنه « سحري » ، وكان قدرات العزيز هنري على تذليل اهم الصعاب هي قدرات غير محدودة !

فبين ليلة وضحاها يقفز دور النظام السوري الى السطح ليصبح في نظر العزيز هنري « دور سوريا الذي لا غنى عنه في الحل النهائي » وكذلك تبدأ المواقف الاسرائيلية بالاستجابة السحرية لافكار ناظر الخارجية الاميركية وكذلك تحصل الموافقة الاجماعية على سياسة الخطى الصغيرة باتجاه التسوية ، وينكشف ان هذه السياسة غير متناقضة مع عقد مؤتمر جنيف .

اما بالنسبة الينا فقد كشفنا منذ زمن بعيد كل ما يراد من هذه المسرحية، فقد كنا نرى ولا زلنا ، ان الاطراف المعنية بـ « التسوية جادة في موقفها فالطرف العربي المعني ، تشكل التسوية النتيجة الحتمية لمسيرته منذ بدأ بها . فالانظمة التي اختارت طريق التخلي عن القضية الفلسطينية مبدئيا ، وراحت تساوم من أجل استعادة اراضيها مع ما تحمله المساومات من امكانية التنازل ، كانت محكومة نظرا لبنيتها الطبقية بعامل الخوف من اطلاق فعاليات الجماهير لان ذلك سوف يؤدي بالضرورة الى تحطيم كل القيود التي تكبح تحرك هذا الشعب باتجاه القضاء على كل انواع القهر والاستغلال والوصاية والتسلط ، ومن هنا كان وقف اطلاق النار وكان قبله تقييد العمل الفدائي ومع هذا وذاك ارهاب الجماهير وابعادها عن المعركة، وبذلك استطاعت الانظمة المشار اليها ان تندفع في رحلة التنازلات ، لان الحقوق القومية ، اذا قرر القيمون عليها الاستغناء عن دور الجماهير وعن طاقات الامة ، لا يبقى امامهم الا الاستسلام ومن ثم الاستجداء وهذا ما كان ، وكانت النتيجة ان العدو اخذ يركز على نقطة الضعف هذه لدى الانظمة المعنية ليبدأ رحلة الابتزاز .

ولما كان الوضع كذلك فاننا ادركنا منذ البدء ان كافة اشكال «التصلب» الظاهري و « التشاؤم » المصطنع ليست الا مناورات مكشوفة يراد منها الهاء الجماهير وصرف انظارها عن صلب المخطط الذي ينفذ على دفعات ويقدم لها جرعة جرعة .

ولقد اتت السهولة التي ذللت بها المصاعب والتي بدا انها انتصبت في وجه التسوية لتزيد الجماهير قناعة بالمواقف والنوايا الحقيقية للانظمة المعنية ونحن نقول ان التسوية اذا كانت هي المحصلة المنطقية لمسيرة هذه الانظمة واذا كان السير السهل باتجاهها سوف يفضحها بسرعة ، كما يرى اربابها ، فقد كان لا بد من افتعال بعض العقبات ، لتغطية هذا الانفضاح واظهار التسوية الاستسلامية على انها انتصار بذلت دونه اقصى التضحيات، ومن هنا فان الجماهير سوف ترى انماطا جديدة من هذه « العقبات » كما سوف ترى حلولا « سحرية » لها .

واذا كان البعض قد استهان بالجماهير ووعيها بعد ان تسنى له قمعها ، فان هذا البعض سوف يكتشف الحقيقة ولكن دون ان يستطيع الاستفادة من هذا الاكتشاف .

« بيروت »